

مقاومة الحاج عمر (1840 - 1864م)

د. محمد بن شوش

أستاذ محاضر - أ- جامعة الجزائر - 2 -

ملخص:

تعالج هذه الدراسة موضوعا متجدداً ألا وهو الطرق الصوفية وأثرها على العالم الإسلامي، ومنها الطريقة التجانية بالسنغال وغرب إفريقيا بزعامة الحاج عمر. ولد الحاج عمر حوالي سنة 1796م بالسنغال، ودرس العلوم الإسلامية واللغة العربية وزار البقاع المقدسة وأخذ الطريقة التجانية عن محمد بن الغالي بوطالب المغربي حوالي سنة 1825م.

ركز الحاج عمر في البداية على ضرورة الالتزام بالدين الإسلامي والتمسك بالأولياء الصالحين والاعتماد على الزهد والدعوة للانخراط في الطريقة التجانية والتقيد بها.

انتقل الحاج عمر من مرحلة التصوف إلى مرحلة جهاد الوثنيين سنة 1852م لتأسيس إمبراطوريته، وسيطر على معظم أعالي نهر السنغال سنة 1854م. تخوف الاحتلال الفرنسي من تزايد انتصارات جيش الحاج عمر الذي واجه أعداء منقسمين على أنفسهم مثل: بامبوك، كارتة، سيغو وماسينا وبسبب إستراتيجيته الحربية، فكانت الحرب وانهزم الحاج عمر الذي توجه شرقاً لتوسيع حركته الجهادية ضد الوثنيين وحتى ضد المسلمين.

أجبر سكان ماسينا المسلمين على الانتقام من الحاج عمر، فاتفقوا مع زعيم القادرية بتمبكتو، فكان الحصار والانتصار وتراجع أنصار التجانية ووفاة الحاج عمر سنة 1864م.

وهكذا أثبت جهاد الحاج عمر وحلفائه ومنافسيه بأن المسلمين في غرب إفريقيا لم يدركوا أبعاد مخاطر التوسع الاستعماري وأنشغلوا بصراعاتهم الداخلية ومشاكلهم وطرقهم الصوفية، واغتنم الاستعمار الفرنسي الفرصة وجعل السنغال أهم قاعدة لتوسعته في غرب إفريقيا ومحاوله ربطها مع شمال إفريقيا لمنافسة الاستعمار الإنجليزي الذي انطلق من شرق إفريقيا إلى جنوبها.

مقاومة الحاج عمر (1840 - 1864م)

د. محمد بن شوش

أستاذ محاضر - أ- جامعة الجزائر - 2 -

إن أوضاع السنغال الداخلية واشتداد ضغط الاحتلال جعلت الحاج عمر⁽¹⁾ يواجه ثلاث قضايا أساسية وهي، نشر مبادئ الإسلام والطريقة التجانية لدى الأهالي ومحاولة توحيد شتات القبائل بهدف تكوين وحدة سياسية لدولة إسلامية في المنطقة ومحاربة الممالك الوثنية، وهذا ما سنحاول إبرازه في هذا المقال.

1 - تأسيس الزاوية العمرية ونشر مبادئ التجانية (1840 - 1854م):

اختار الحاج عمر تأسيس زاويته في بلاد فوتا جالون وتحديدًا في قرية جيكونكو (Jégunko) بدنغراي (Dinguiraye) الواقعة بمنطقة جبلية مطلة على سهول واسعة، يصعب على العدو اقتحامها بسهولة وهي قليلة السكان⁽²⁾، وتمثل دنغراي صورة رمزية للمدينة المنورة ودورها في الهجرة وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى⁽³⁾. وكان سبب اختيار دنغراي يعود إلى عدة عوامل أهمها، أنها تقع بفوتا جالون التي اختارت الدين الإسلامي كعقيدة لمعظم السكان منذ قرون وانتشار المدارس الإسلامية وكثرة الأساتذة والعلماء وإدراك الحاج عمر ذلك جيدًا لأنه درس وتعمق في الكثير من العلوم الإسلامية بها أثناء شبابه، وبها تعرف على أستاذه عبد الكريم الناقل الذي لقنه الطريقة التجانية ورغبه في الانخراط بها⁽⁴⁾.

أصبحت زاوية الحاج عمر تحتل موقعًا إستراتيجيًا بعيدًا عن فوتاتورو مسقط رأسه، ومشاكلها وعن سان لويس قاعدة الفرنسيين ومراقبتهم⁽⁵⁾، كما أنها تتوسط ملتقى طرق القوافل التجارية شرقًا ومدينة فريتاون (Freetown) على مصب نهر غامبيا بالمحيط الأطلسي غربًا وسيطرة الإنجليز عليها، وكان ذلك

موقعا مثاليا يتيح حرية الحركة للشيخ عمر، وجماعته، وحرية النشاط والتجاري لاسيما تجارة السلاح والذهب⁽⁶⁾.

إن أئمة الفوتا جالون وحكامها قد أحسنوا وفادة الحاج عمر ورحبوا بإقامته في بلادهم بدنكراي القريبة من منطقة الذهب في البوري والواقعة في شمال شرق غينيا، وفي هذه المدينة أسس الحاج عمر زاويته ودعا مسلمي غرب إفريقيا الالتحاق به ونصرته لنشر طريقته⁽⁷⁾. وبدأ في هذه المرحلة بالهجرة والاستقرار بدنغراي وبناء الزاوية والمسجد، وتلقين الأتباع التربية الصوفية والالتزام بالطاعة العمياء للشيخ والولاء المطلق للجماعة، وأن المرید لا إرادة له سوى إرادة شيخه، ولا بد أن يذوب تماما في شخصه فيكون مثل الجثمان بين يدي المكفن أو كالقلم بين أنامل الناسخ⁽⁸⁾.

لقد كان تعليم الأتباع مبادئ وأهداف التجانية اعتمادا على الكتب التي ألفها الحاج عمر وهي، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، وسيوف السعيد، وسفينة السعادة، وتذكرة الفاضلين، وتذكرة المسترشدين والمقاصد السنية، وأهم هذه الكتب هو رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم الذي يتكون من جزأين وألف سنة 1845م، وبه حوالي خمسمائة وستة وأربعون صفحة بها خمسة وخمسين نصا. وتظهر معظم المبادئ والأهداف من خلال هذا الكتاب⁽⁹⁾ وهي كما يلي: التمسك بالأولياء الصالحين ومحبتهم وخدمتهم، الاعتماد على الزهد والإكثار من الذكر وعبادة الله، وعدم التقيد بمذهب معين دون الإخلال بالأركان الخمسة للإسلام.

ومن بين المبادئ الأخرى ضرورة الانخراط في الطريقة التجانية والتمسك بالشيخ المرشد، والتزام كل من أراد الدخول في التجانية ترك الطريقة التي كان ينتمي إليها⁽¹⁰⁾، والالتزام بالصدق، المبايعة للشيخ الولي هي كمبايعة النبي صلى الله عليه وسلم، الالتزام بأوامر الشيخ دون مناقشته أو جداله والاقصصار على شيخ

واحد، ولا يزور أو يلتجئ إلى ولي من الأولياء الأحياء أو الأموات، والشيخ هو أعلى مرتبة من الوالي، والأولياء الصالحون يرون النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، وأعمال البر والإحسان تقضي على ذنوب الكبائر والصغائر، وضرورة الالتزام بأذكار الطريقة التجانية⁽¹¹⁾.

تعتبر هذه المبادئ والأهداف وغيرها ضرورة ملحة لكي يلتزم بها المريدون والأتباع معرفة وتعلما وتطبيقا وسلوكا لبداية مرحلة الدعوة ونشر الطريقة التجانية في مختلف المناطق السنغالية⁽¹²⁾.

بدأ الحاج عمر رحلته الدعوية حوالي سنة 1846م، فزار معظم مناطق سنغيبيا ناشراً لتعاليم ومبادئ الطريقة التجانية، وأرسل مجموعة كبيرة من المريدين والأتباع إلى مختلف الجهات لينوبوا عنه في تلقين الناس أوراذاً ومبادئ وأهداف طريقتهم⁽¹³⁾. وقد قام بتكوين مقدمين ومريدين في كل منطقة يحل بها، وبعد الامتحان والتأكد من التحصيل والاقتناع والتأهيل يكلفهم بنشر التجانية بين أهاليهم وفق لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم⁽¹⁴⁾. ودعم الحاج عمر وسائله الدعوية بإرسال رسائل إلى مختلف الزعماء ودعاهم إلى الإسلام والطريقة التجانية. ونتيجة إقبال الناس وحفاوة الاستقبال شجعا الحاج عمر على مواصلة دعوته والوصول حتى إلى أعالي نهر السنغال، وختمت الجولة الدعوية التي شملت معظم بلدان سنغيبيا تقريباً⁽¹⁵⁾.

عاد الحاج عمر في نهاية سنة 1847م وهو محفوف بالحرس والجنود والخدم إلى جيكونكو، فتحوف ملك فوتا جالون من المشهد الكبير الذي جعل من الحاج عمر سلطاناً بدون تنويع يمكن أن يسيطر على الجميع في أي وقت ممكن، وبدأ أسلوب الحيلة والحذر وظهرت المشاكل بين الطرفين وانتقال الطريقة التجانية إلى مرحلة جديدة⁽¹⁶⁾.

إن الطريقة والصفة التي عاد بها الحاج عمر إلى جيكونكو أقلقت حاكمها فطلب منه مغادرة البلاد، فكانت الهجرة سنة 1851م إلى دينغراي التابعة لإقليم تيمبا (Temba) وملكها الوثني يامبا ساخو (Yimba Sakho) وساءت العلاقة بين الطرفين بأقصى سرعة. بدأ الحاج عمر سنة 1851م في تشييد القلاع وتكثيف التدريب العسكري، وشراء وصناعة البنادق، وإعطاء دروس مكثفة في الوعظ والإرشاد ومبادئ الطريقة التجانية. هذا ما جعل ملك تامبا يتخوف ويطلب من ضيفه الحاج عمر ضرورة تدمير التحصينات التي بناها وتسليم الأسلحة النارية، وأدى ذلك بالطرفين إلى الدخول في حرب⁽¹⁷⁾.

بدأت مرحلة جديدة في الطريقة التجانية وهي مرحلة الجهاد لنشر الإسلام وتعاليم الطريقة التجانية خاصة بعد الانتصار على يامبا ملك تامبا بفوتا جالون والسيطرة على منجم الذهب ببوري (Bouré) والحصول على غنائم نفيسة وهدايا ثمينة⁽¹⁸⁾.

كان الانتصار على الملك الوثني يامبا بداية لسلسلة من الحروب التي دارت رحاها بين الحاج عمر وجيوش الممالك الوثنية وانتهت بانتصار الحاج عمر وتأسيس دولة بالمنطقة سنة 1852م⁽¹⁹⁾، والسيطرة بعد ذلك على إقليم بامبوك (Bambouk) الغني بالذهب، وبافينغ (Bafing) وماخانا (Makhana)⁽²⁰⁾.

2 - علاقة الحاج عمر بالاحتلال الفرنسي (1864 - 1854م)

تميزت علاقة الحاج عمر بالفرنسيين في البداية بتعايش حذر، لأنه كان يعمل بمختلف الوسائل لتجنب مواجهة القوات الفرنسية وهو يسعى لبناء دولته⁽²¹⁾. وأدرك الحاج عمر مبكرا العواقب الوخيمة التي ستصيبه نتيجة مغامرة التصادم مع الاحتلال الفرنسي المدجج بمختلف الأسلحة والمعتمد على جيش يتميز بقدرة قتالية كبيرة⁽²²⁾. كما تخوف الحاج عمر كثيرا من تطور ظاهرة الولاءات ومساندة زعماء قبائل فوتا (Futa) وبامبوك (Bambouk) وبوندو (Bundu)

للاحتلال الفرنسي وفضل عدم فتح عدة جبهات في وقت واحد، وتفرغ لمحاربة الممالك الوثنية لتقوية مملكته⁽²³⁾.

ولما أتم الحاج عمر استعداداته توجه إلى احتلال منطقة بامبوك الغنية بالذهب، فأخضعها لسلطته في منتصف سنة 1854م⁽²⁴⁾، وتمكن بعد ذلك من إخضاع معظم مناطق أعالي نهر السنغال وتوجه شرقا اعتمادًا على الوسائل العسكرية والدبلوماسية والسياسية لتوسيع مناطق نفوذه⁽²⁵⁾.

لم تكن الحامية الفرنسية سان لويس ترغب في مواجهة مفتوحة مع الحاج عمر، لأنه يملك شعبية واسعة ويمكن أن يؤلب سكان المنطقة ضدها لأنها مسيحية ومستعمرة⁽²⁶⁾. ولم يظهر الحاج عمر في البداية تهديدًا للمصالح الفرنسية بشكل مباشر في أعالي نهر السنغال، وكانت سلطة سان لويس تعمل بمختلف الوسائل لربط علاقات ودية مع الحاج عمر الذي يريد السلام مع الفرنسيين⁽²⁷⁾، ويكون ذلك ملائمة لازدهار التجارة الفرنسية بأعالي النهر ويحقق رغبة وزير البحرية بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة، وعدم استعداد باريس لدعم مستعمرة السنغال، بما يكفي من الاعتمادات بسبب أوضاع ومخلفات ثورات 1848م التي عاشتها فرنسا، بالإضافة إلى آثار الحرب القارية في أوروبا. كانت سلطة الاحتلال تعتقد بأن قوات الحاج عمر الجهادية يمكن أن تقدم خدمة غير مباشرة للفرنسيين وتعرقل توغل النفوذ البريطاني عبر نهر غامبيا في اتجاه أعالي نهري السنغال والنيجر⁽²⁸⁾. واقتنعت بأن حركة الحاج عمر مهتمة بإخضاع الشعوب الوثنية ونشر الإسلام والطريقة التجانية شرق نهر السنغال⁽²⁹⁾.

وبعد ذلك أرادت الإمبراطورية الفرنسية الثانية تطبيق سياستها الاستعمارية التوسعية، فعينت فيدربر حاكمًا عامًا للسنغال لتنفيذ المشاريع التوسعية ابتداء من 16 ديسمبر 1854م⁽³⁰⁾.

بدأ فيدرب نشاطه في ظروف مزرية لأن الاحتلال لم يكن يسيطر إلا على بعض المناطق الساحلية الأطلسية كبور تونديك والرأس الأخضر، وكانت مدينة سان لويس هي المركز الأساسي، أما جزيرة غوري والمناطق الجنوبية فقد كانت شبه منفصلة وخاضعة مباشرة للقوات البحرية الفرنسية. واستمرت الإمارات السنغالية خارج السلطة الفرنسية وتفرض الضرائب وتهدد قوافل الاحتلال التجارية والعسكرية وتعرق انتشارها في المنطقة⁽³¹⁾.

إن السنغاليين قد تعايشوا نوعا ما مع سياسة فرنسا السابقة التي تميزت بالتهدة والسلام وأحيانا تكون مناوشات بسيطة دون تورط فرنسا في عملية غزو واسع، لأنها كانت تريد استغلال المنطقة اقتصاديا، وتظهر بأنها تعمل على تطويرها دون احتلالها. ولكن سرعان ما تغيرت هذه السياسة بمجيء فيدرب إلى المنطقة، ولتحقيق هذه السياسة اعتمد على تنظيم الجيش وتطوير عائدات التجارة والقيام ببعض المشاريع⁽³²⁾ مثل فصل أقاليم فوتاتورو المتحالفة لمنع الحاج عمر من أن يعلن الجهاد انطلاقا من موطنه فوتا، أي منطقة السنغال من فردغته غربا إلى باكل شرقا⁽³³⁾.

قاد فيدرب حملة عسكرية في 23 ماي سنة 1854م ضد جلتمت عاصمة الإقليم الغربي لبلاد فوتاتورو وذلك بعد أن استنفذ كل الوسائل السلمية لإقناع الإمام سعد بن بكرن لقبول الحماية الفرنسية. وتكونت الحملة من ألف وثمانمائة جندي (1800) مسلحين بعتاد حربي كبير وحاصرت عاصمة الإقليم جلتمت. كانت العاصمة متحصنة تحصينا جيدا، إذ كان يحيط بها سور ضخم ارتفاعه ستة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار وعلى جوانبه نقاط ومراكز للمراقبة وقوات عسكرية تدافع على الإقليم تقدر بألفين من القناصة المهرة، بالإضافة إلى النساء المتطوعات تغلي الماء وتصبه على القوات المهاجمة. تخوفت فرنسا من الهزيمة وعدم القدرة على إسقاط المدينة التي استمرت تقاوم الاحتلال مدة

أربعين سنة، فكان اللجوء إلى أشع الوسائل فاستخدمت المدافع بكثافة كبيرة فسقطت المدينة، وهلت فرنسا بانتصارها في معركة جلنت واعتبرتها مشابهة للانتصار في مصر واقترحت ترقية الضباط لحسن بلائهم في هذه المعركة⁽³⁴⁾.

قام الاحتلال بعد ذلك بعقد سلسلة من المعاهدات التجارية مع أقاليم فوتا، وأصبح يتنقل من إقليم إلى آخر، ويتصل بالأمرء والأعيان ومدهم بالدعم المادي والمعنوي مقابل استمرار ولائهم. وتزامن الدخول الفرنسي إلى المنطقة باشتداد التطاحن والتنافس للفوز بمنصب الإمامة، واغتنم الاحتلال الفرصة فأنشأ المراكز العسكرية، والإدارية، وشدد المراقبة والتجسس للتعرف على أتباع الحاج عمر والتنكيل بهم، فألقى القبض على بعضهم، مثل الإمام سعد والإمام محمد بران⁽³⁵⁾. وهكذا أصبح بعض الأمرء يتخوفون على مناصبهم ومصالحهم، فزاد عداؤهم للحاج عمر ووقفوا ضده عندما زار فوتا سنة 1854م طلباً للدعم بالرجال لإعلان الجهاد ضد الفرنسيين⁽³⁶⁾.

أ - المواجهات العمرية الفرنسية سنة 1855:

بدأت هذه المرحلة بإعلان الحاج عمر في 09 جانفي 1855م بالهجوم على الوكالات التجارية والسيطرة على مختلف بضائعها في إقليم خاسو الحليف للفرنسيين والخاضع لحمايتهم والقيام بعد ذلك بالهجوم على قرية كولان (Kolan) العميلة للاحتلال⁽³⁷⁾.

اهتم الحاج عمر بإخضاع الوثنيين في كارتا (Karta) وكلف جيشه بالهجوم على سينوديو (Sénudébu) وباكل (Bakel) في شهر فيفري 1855م، أي في الفصل الجاف ونقص مياه نهر السنغال وصعوبة تنقل السفن الفرنسية بجنودها لحماية حصونها العسكرية. وكان الهدف هو السيطرة على المنطقة وعرقلة نشاط التجارة الفرنسية التي توسع انتشارها في الشرق، بعد مسالمة فوتاتورو وسهولة تنقل الفرنسيين إلى أعالي السنغال⁽³⁸⁾، وتمكن المهاجمون من أسر

واعتقال جيراردو (Girardo) حاكم مركز سينوديو (Sénudébu) وأطلق سراحه بعد دفع فدية خمسة وأربعين قطعة غينية، كما قاموا بإغراق سفينة فرنسية بمياه نهر السنغال واعتقلوا بعض ركابها⁽³⁹⁾.

أعلن الحاكم العام فيدرب عن سياسة الأرض المحروقة لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية وحتى نفسية، وكانت الانطلاقة في بداية شهر مارس 1855 م بقيام فرقة من السبايس (Spahis) وفرقة من حامية باكل (Bakel) بالهجوم على قرية مارسا (Marsa) وأودوبا (Oudouba) بحجة إيواء أنصار الحاج عمر⁽⁴⁰⁾.

كانت النتيجة قتل اثني عشر وجرح خمسة وعشرين مسلماً وتم حجز ماشيتهم المتكونة من البقر، الماعز والحمير ليكون ذلك شكلاً آخر من العقوبة فيهرب كل من تسول له نفسه حتى بالتعاطف مع الحاج عمر وأنصاره⁽⁴¹⁾. وقام الاحتلال بحرق أربعة قرى تقع على ضفتي نهر السنغال بحجة الخيانة ومساندة الحركة العمرية الجهادية، واستمرت عملية الحرق والتدمير والمصادرة لأكثر من تسعة قرى ومدن في الفترة الممتدة من 15 مارس إلى 22 مارس 1855 م لزرع الرعب في أوساط السنغاليين، ولكي يبرهن فيدرب على مدى نجاعة سياسته في مواجهة الحاج عمر. دعمت سياسة الأرض المحروقة ابتداءً من منتصف شهر مارس 1855 م بالاستعمال المكثف والاعتماد على سلاح المدفعية الذي لا يبقى أخضرًا أو يابسًا إلا دمره، فكان ذلك عاملاً مهماً لترهيب أنصار الحاج عمر بباكل (Bakel) وغيرها من المناطق، كما مكن هذا السلاح من ارتفاع عدد العملاء المرتدين عن الحاج عمر والمؤيدين للاحتلال الفرنسي مثل سييري سولييمان (Ciré Souleymane) الذي لعب دوراً كبيراً في إدخال قرى ندياوبي (Ndiayobé) تحت الحماية الفرنسية⁽⁴²⁾.

حاول الحاج عمر رفع معنويات أنصاره، فأمر جيشه بهجوم ثانٍ على المصالح الفرنسية في 26 أبريل سنة 1855 م، وتمت السيطرة على مؤن وقطعان

ماشية ملك بعض السكان من مدينة سان لويس والمؤيدين للاحتلال والذين أتوا في مهمة إلى سينوديو⁽⁴³⁾.

وصل الحاج عمر إلى مدينة كونياكاري (Koniakari) في 20 ماي 1855 م بكارطا (Karta)، وأرسل مبعوثا إلى فوتا طالبا الدعم المادي والبشري، واستقبل إمام تورو طلب الحاج عمر ووافق عليه وتفاوض معه لتقديم الدعم اللازم لعرقلة توسع الاحتلال الفرنسي بالمنطقة وإفشال نشاطه التجاري⁽⁴⁴⁾.

حاول الاحتلال التضييق على أنصار الحاج عمر وهاجم العديد من القرى والمدن في الفترة الممتدة من 2 إلى 11 جوان 1855، وتمكن من مصادرة أملاكهم وأخذ أكثر من ثلاثة آلاف وستمائة (3600) من الغنم والبقر، ووجه حملة عسكرية في 1 جويلية وقامت بحرق أربعين قرية بوالو (Walo)، ودعم المنشقين بإقليم فوتا بفرقة عسكرية وأشرف على التنسيق والتحالف لدعم الوثنيين ومحاربة الحاج عمر وأنصاره⁽⁴⁵⁾.

انتظرت فرنسا شهر جويلية سنة 1855 م للرد على مقاومة الحاج عمر بقوة في الفصل المطير، وارتفاع منسوب مياه نهر السنغال، وقدرة السفن على الملاحة في اتجاه أعالي النهر. وتوجهت حملة عسكرية في 29 جويلية إلى أعالي نهر السنغال بقيادة الحاكم فيدربر و1100 عسكري و600 متطوع، وقامت بحرق معظم القرى المؤيدة لمقاومة الحاج عمر، ووضع فيدربر إستراتيجية خاصة ليتمكن من التوسع والاستقرار في أعالي النهر وبدأ ذلك بالتحالف والتعاون مع الإنجليز لمحاصرة المقاومة بغامبيا والقضاء عليها في 23 جويلية 1855 م، وبذلك يضمن عدم تعاون الماندينغ مع المقاومة السنغالية ضد التوسع الفرنسي⁽⁴⁶⁾.

وقام فيدربر بعد ذلك بعقد اتفاقية مع زعماء مدينة باكل وضواحيها وأعلن بأن هذه المدينة أصبحت خاضعة للحماية الفرنسية وكل اعتداء عليها يعتبر اعتداء

على فرنسا، كما تمت استمالة جوكو سامبالا (Joko Sambala) حاكم مدينة مدين (Médine) وإقناعه ببناء حصن يحمي المنطقة من أي هجوم خارجي. وتم توقيع معاهدات صداقة مع أعداء الحاج عمر وقدمت الهدايا والإغراءات لمن قدم الدعم للفرنسيين بمنطقة نهر السنغال، ودمرت كل القرى التابعة لأنصار الحاج عمر وأرسلت حملات عسكرية للقضاء على سكان القرى الذين رفضوا الاعتراف بالزعماء الذين نصبتهم فرنسا وضمنت لهم حمايتها⁽⁴⁷⁾.

أعلن أنصار الحاج عمر الحرب على القوات الفرنسية، وكانت معركة منايل بالقرب من باكل في 12 أوت 1855 م وهزم الاحتلال، وكان الانتقام من الأبرياء العزل بحرق قراهم وممتلكاتهم. وصمم الحاج عمر على السيطرة على المنطقة، وكثف جيشه للهجوم على باكل فانهار الاقتصاد الفرنسي في أعالي السنغال، فكان على الاحتلال العمل ليعيد الخطر المتزايد وتأمين المنطقة⁽⁴⁸⁾.

أصبح ملك خاسو (Khasso) دياكو سامبالا (Diako Sambala) عميلا لفرنسا، وقدم قطعة أرضية لبناء حصن مدين بطول ثلاث كلم بالضفة اليسرى للنهر، أي من مدين إلى فلو (Felou)⁽⁴⁹⁾.

سخرت ست سفن بخارية مدة 15 يوما لنقل 1300 عسكري من مختلف التخصصات برئاسة فيدربر وبدأت الأعمال في 15 سبتمبر وانتهت بإنجاز الحصن في 05 أكتوبر 1855 م، وأسندت إدارة مدينة مدين (Médine) إلى بول هول (Paul Holl)⁽⁵⁰⁾. وعادت بعد ذلك القوات العسكرية الفرنسية إلى سان لويس في 10 أكتوبر، وبذلك تمكن فيدربر من إمضاء معاهدة صداقة وتعاون مع سامبالا ودعمه بقوات عسكرية أدت إلى تراجع قوات الحاج عمر التي كانت مرابطة بالمنطقة⁽⁵¹⁾.

قامت سلطة الاحتلال أثناء هذه الفترة بنشاط مميز⁽⁵²⁾، حيث كافأت كل سنغالي أظهر الود والتعاون مع الفرنسيين وعارض التجانيين، فقدمت مثلاً ميدالية

ذهبية لأليون ماكولي (Alioune Macolé) لأنه قام بسلسلة من الاغتيالات ضد المتعاطفين مع الحاج عمر⁽⁵³⁾، كما قامت بقتل وحرق جثث بعض التجانيين لزرع الرعب وإحكام السيطرة الفرنسية على أعالي نهر السنغال⁽⁵⁴⁾.

ب - مواجهات سنة 1856 و1857م:

قامت القوات الفرنسية المرابطة بباكل وسينوديو في بداية شهر جانفي بمهاجمة ثلاث قرى بمملكة باندو (Bondu) بحجة تأييد الحركة الجهادية، وردت جيوش الحاج عمر بقوة وسيطرت على قطع من ماشية باكل، وكان الانتقام الفرنسي بحرق، وتدمير قريتي ديبو (Débou) وتولديرو (Touldiro)، كما تم توقيف الخليفة التجاني سليمان لي (Souleymane Ly) وقتل هو وعائلته في 03 مارس 1856م⁽⁵⁵⁾.

وجند الحاج عمر أكثر من 2000 مقاتل في شهر أفريل، وكان الهجوم على الفرنسيين في 07 ماي 1856م⁽⁵⁶⁾، وكان الفشل بسبب استعداد الاحتلال المدعم بالعملاء ووضع كل المنطقة تحت الحماية الفرنسية، وتعيين العملاء كقادة وحكام بقبائلهم خاصة بعد 05 ماي 1856م. وتمكن فيدر من تحقيق الحاجيات الأساسية لجيوشه والسيطرة على 3650 بقرة و120 حمار في 09 ماي 1856م⁽⁵⁷⁾، ونجح الاحتلال في السيطرة واستغلال منجم الذهب بكينيبا (Kéniba)، وأصبحت معظم المواجهات في هذه الفترة لصالح فرنسا⁽⁵⁸⁾.

قام الحاج عمر بتعيين خليفته ألفا عمر سيرينو بايلا (Alfa Omar Céréni) بكارطا وتوجه إلى خاصو (Khasso) الواقعة على الضفة الجنوبية لنهر السنغال، حيث توجد مدينة مدين (Médine) التي تحصنت بها قوات سان لويس، ليشرف بنفسه على سير العمليات العسكرية ضد الفرنسيين قبل فوات الأوان، لأنه كان يرى بأن الوضع أصبح خطيرا جدا بعد سيطرة الاحتلال على بوابة أعالي نهر السنغال، ثم الانتقال إلى فوتا جالون والسيطرة على كل ما تزخر به

من ثروات طبيعية وبشرية، وبذلك يكون التهديد خطيراً للأسس الدولة الإسلامية الكبرى التي يسعى الحاج عمر إلى تكوينها في السودان الغربي⁽⁵⁹⁾.

ولما قرر الحاج عمر الدخول في مواجهة مع الفرنسيين جهز جيشاً من 1500 مجاهد وقسمه إلى ثلاثة فيالق، وحضر السلالم لدخول حصن مدين، وفي 19 أبريل سنة 1857م فرت امرأة من معسكر الحاج عمر، وأخبرت حاكم حصن مدين بكل استعدادات الحاج عمر وجيشه، فاستعد الفرنسيون لمواجهة الحاج عمر⁽⁶⁰⁾.

وصل جيش الحاج عمر في 20 أبريل وحاصر القلعة من الشرق والغرب ومن الجنوب، أما من الشمال فكان نهر السنغال، ودارت بين الطرفين معركة استغرقت ست ساعات، وتمكن المجاهدون خلالها من اقتحام بعض القلاع والبوابات⁽⁶¹⁾، وأقدم أحد جنود الحاج عمر وهو مامادو كوران متحدياً لطلقات المدافع من أعالي الحصن ورفع راية الحاج عمر واستمر محافظاً عليها حتى وجهت إليه طلقات مدفع رشاش فأودت بحياته⁽⁶²⁾.

كان ميزان القوى خلال الساعات الأولى للقتال لصالح المسلمين، ومع مرور الوقت استطاعت المدفعية الفرنسية أن تحسم الموقف لصالحها، وتراجعت قوات المسلمين وخسر الحاج عمر في هذه المعركة أكثر من 300 شهيداً، أما الفرنسيون فلم يخسروا إلا ستة قتلى و13 جريحاً⁽⁶³⁾.

وأما المحاولة الثانية فكانت لجيش الحاج عمر برئاسة خليفته تيرنو غيبي (Tierno Guibi) في 11 ماي 1857م وبداية الهجوم انطلاقاً من نهر السنغال، فحوصرت المنطقة ولم يتمكن سكان مدين حتى من الحركة وبدأت معاناتهم الشديدة، خاصة بعد نفاذ الذخيرة وعدم القدرة على مواجهة جيش تيرنو، وانتشر الجوع والخوف⁽⁶⁴⁾.

اشتد ضغط الحصار ولم تتمكن فرنسا من إنقاذ الحصن إلا بعد ارتفاع منسوب مياه نهر السنغال وسهولة الملاحه في شهر جويلية سنة 1857م⁽⁶⁵⁾،

وأسندت مهمة فك الحصار للبحرية الفرنسية ودعم فيدربر، فكان الهجوم على تحصينات الحاج عمر بالمدافع الرشاشة والألغام⁽⁶⁶⁾.

أمر الحاج عمر رجاله بالتراجع والتخلي عن حصن مدينة مدين في شهر أوت 1857م والتوجه نحو فوتا جالون جنوبا داخل إقليم بامبوك والتوقف في بلدة كونجان (Kunjan)، وبنا فيها قلعة حصينة لاسترجاع قوته وهيئته في المنطقة⁽⁶⁷⁾.

قاد فيدربر حملة عسكرية تتكون من 2000 رجل مهمتها متابعة جيوش الحاج عمر والقضاء على أتباعه في بوندو (Bondou) وخاسو (Khasso) وتم سبي 800 امرأة وطفل، وسرقة 500 بقرة ومجموعة أخرى من المواشي، وكمية كبيرة من المجوهرات وتم حرق وتدمير القرى والحصون العمرية⁽⁶⁸⁾، وظهر حاكم مدين بول هول بمظهر المنتصر، وكان يعمل على إضعاف معنويات بعض المجاهدين، ووقف أمام أحدهم وهو يصارع الموت قائلا: «... يا لك من بائس يا بني لماذا لم يسرع شيخك إلى المعركة لينقذك ويكون أول المقاتلين»، فأجاب الشاب المجاهد راميا بول هول بنظرة الإشفاق والاحتقار: «يا إلهي يا إلهي إنني أشكرك أنني استشهد، إنني أرى الجنة»⁽⁶⁹⁾.

قامت قوات الاحتلال بمكافأة العملاء فمنحتهم مناصب عليا وأصبح البعض منهم حكاما وأمراء، فأسندت مثلا منطقة ناتيغا (Natiaga) إلى سيمونو (Sémou nou) المقرب من الإدارة الفرنسية، ومنطقة بوندو (Bondou) أصبحت تابعة للملك باكر سعادة (Bakar Saâda) الحليف الوفي ليفيدربر، وعادت بعد ذلك القوات الفرنسية إلى سان لويس في 27 أوت سنة 1857م⁽⁷⁰⁾.

وعموما دام حصار مدينة مدين ثلاثة أشهر، وكان انهزام الحاج عمر بسبب قوة الجيش الفرنسي عدة وعدداً، وضعف جيش الحاج عمر ونقص الأسلحة والذخيرة لأسباب كثيرة، منها الترحال المستمر، ونجاح فرنسا في كسب مجموعة كبيرة من العملاء داخل السنغال.

ج - مواجهات سنة (1860 - 1858م):

تراجع الحاج عمر نحو الجنوب لتجديد قواه، فواصل سيره إلى إقليم بوندو (Bundu) وفوتا، وكان في كل مكان يمر به يحث سكانه على رفض التعامل مع الفرنسيين والهجرة إلى دولة المسلمين التي أسسها في الشرق. كان العمل الأساسي هو ضرورة التخلص ومحو عار هزيمة مدين وإعادة الثقة لقوة وقدرة الجيش، فظم الحاج عمر هجوما على قرية نديوم (Ndioum) شمال سينوديبو (Sénoudibou) في 15 فيفري 1858 م أي خلال الفصل الجاف⁽⁷¹⁾.

وحقق الهجوم انتصارًا كبيرًا وتشتت الحامية الفرنسية المتكونة من أكثر من 2000 عسكري، وتراجع النقيب كورنو (Cornu) والإمام العميل بوبكر (Boubakar) مع القوات الفرنسية تاركين مدفعين بالمنطقة. إن هذا الانتصار في شمال بوندو مهد الطريق لجيش الحاج عمر لمواصلة التقدم نحو فوتاتورو، أي نحو الشمال والانتقام من الفرنسيين والعملاء. وكان المجاهدون يزرعون الرعب في المواقع الفرنسية لعرقلة تجارتهم وترهيب المتعاونين مع النصارى. واعتقد حكام سان لويس بأن انتصار الحاج عمر بنديوم كان مرحليا فقط، وأن معظم أنصاره قد أصبحوا حلفاء لهم، ولكن عندما وصل إلى فوتاتورو أدركوا خطورة الموقف المهدد لتجارتهم وأملآهم وأرواح جنودهم وعملائهم⁽⁷²⁾. اعتبرت سلطة الاحتلال بأن وصول الحاج عمر إلى فوتاتورو في 18 جوان 1858م، يعني ذلك توسع دائرة الجهاد في الجلوف (Jolof) ووالو (Walo) وكايور (Cayor)، والوصول إلى شواطئ المحيط الأطلسي، بالإضافة إلى السيطرة على المناطق الغنية بالمعادن النفيسة، وأعالي النيجر والطرق التجارية الأساسية⁽⁷³⁾. وأسرعت فرنسا إلى اتخاذ سلسلة من الإجراءات للحفاظ على مصالحها بالمنطقة وبدأت ذلك بتقديم الدعم المادي والمعنوي للحكام السنغاليين والعملاء، واعتقال أنصار الحاج عمر والمتعاطفين معه⁽⁷⁴⁾، وإجبار معظم زعماء

فوتاتورو للدخول تحت الحماية الفرنسية وإقامة معسكر في بلدة فاناي (Fanay) بإقليم ديمار للتحكم والسيطرة على وسط فوتاتورو وتأديب المعادين للمصالح الفرنسية وحصار أتباع الحاج عمر خاصة بعد 30 جانفي 1859 م⁽⁷⁵⁾.

كان الحاج عمر قد كثف الدعاية ضد الفرنسيين وكلف أنصاره بعرقلة تجارتهم في السنغال، وفضل الهجرة سنة 1859 م والتوجه بغزواته شرقا نحو النيجر⁽⁷⁶⁾، لكن فيدربر قرر متابعة الحاج عمر والقضاء على كل تحصيناته وحرق قرى مؤيديه، وتفرغ لذلك بعد عودته من فرنسا في فيفري سنة 1859 م، وقام بتدمير أهم مراكز أنصار الحاج عمر بماتام (Matam) وجيمو (Guémou) وميلقا (Mélga)، وتوالت الضربات، واشتد الحصار على أنصار الحاج عمر بعد مارس 1860 م، فاضطر الحاج عمر إلى تغيير سياسته لكسب المزيد من الوقت، فكلف تيرنو موسى (Tierno Moussa) أحد خلفائه بالتفاوض من أجل السلم مع الفرنسيين، ووجهت رسالة إلى القائد كورنو (Cornu) حاكم منطقة باكل بتاريخ 23 جويلية 1860 م، تنص على إرادة الحاج عمر في تحقيق سلام مع الفرنسيين وحل المشاكل وعقد تحالفات، فكان بعد ذلك مشروع المعاهدة في 18 أوت 1860 م⁽⁷⁷⁾.

اعتبر مشروع معاهدة 1860 م مدينة باكل (Bakel) بأعالي السنغال، كحد فاصل بين القوات الفرنسية وقوات الحاج عمر، وأكد على ضرورة توقيف العمليات العسكرية والتعاون في العديد من المجالات⁽⁷⁸⁾.

لقد تفاعل فيدربر بهذا المشروع، لكن بعض الفرنسيين شككوا في ذلك لأن الحاج عمر كان منشغلا في حرب سيغو وماسينا، ولم يطلع عليه ليعطي رأيه فيه. وفي 1861 م رد الحاج عمر بالسلب على هذا المشروع بسبب الشروط المجحفة بحقه⁽⁷⁹⁾.

اعتبرت سلطات باريس نص المشروع بأنه نهاية للحرب مع الحاج عمر، فكانت فترة من السلم الحقيقي تمكنت فرنسا خلالها من بناء المراكز الإدارية

والقلاع الحربية من سان لويس غربا إلى كايس شرقا لتأمين مرور عتاها وجيشها عبر النهر⁽⁸⁰⁾.

لم يتمكن الحاج عمر من مواصلة مقاومته ضد الإحتلال الفرنسي وتوجه شرقا بحثا عن أراضي جديدة يقيم فيها قاعدة لنشاطه، وتكون مركزا لانطلاق دعوته نحو مناطق أخرى⁽⁸¹⁾.

توجه الحاج عمر إلى سيغو (Ségou) عاصمة البامبارا فاحتلها في ماي سنة 1860م، وتفاجأ بوقوف جيش ماسينا (Macina) إلى جانب البامبارا للدفاع عنهم، فكان توسيع الهجوم وهزيمة سيغو (Ségou) وماسينا (Macina)⁽⁸²⁾، وبذلك دخلت المنطقة في أزمة شديدة بسبب تصادم قوتين إسلاميتين وكانت لها نتائج وخيمة⁽⁸³⁾.

إن سكان ماسينا المسلمين أرادوا الانتقام من الحاج عمر فاتفقوا مع الزعيم الشيخ بكاي القادري بتبكتو على العمل لطرد أنصار الحاج عمر من بلدهم فكان الانتصار والحصار⁽⁸⁴⁾، فاعتصم الحاج عمر بمغارة ببانداكارا فأشعلوا النار ببابها فتوفي مختنقا مع بعض أصحابه بالدخان سنة 1864م⁽⁸⁵⁾.

ولم يكن أولاد الحاج عمر على مستوى أيهم الفكري والعقائدي، كما لم يتمكن ولده أحمد (1865 - 1893م) أن يدعم مركز دولته لمواجهة الاستعمار، وذلك بسبب التنازع على السلطة بين أفراد العائلة العمرية التجانية.

وعموما انتشرت الطريقة التجانية في السنغال على يد الحاج عمر، وإليه ترجع أسانيدها وأورادها في المنطقة وفي معظم جهات غرب إفريقيا وأخذ عن الشيخ عمر عدد كبير من المريدين والشيوخ الذين واصلوا مهمة نشر مبادئ التجانية.

وفي الختام أشير إلى أن الحاج عمر بدأ الدعوة إلى الطريقة التجانية بالوسائل السلمية، وانتقل بعد ذلك إلى تنظيم حملات عسكرية انطلقت من حدود فوتا جالون الشرقية لنشر التجانية في السنغال وفي السودان الغربي بكامله

خلافًا للحركات الجهادية التي قادها الشيخ عثمان والشيخ أحمد المنحصرة في مناطق محددة، أي بلاد الهوسا وماسينا. ولم يوفق الحاج عمر في الاستيلاء على فوتاتورو بلده الأصلي لأن الفرنسيين كانوا قد جذروا أقدامهم بها.

إن مقاومة الحاج عمر تظهر لنا بأن فرنسا اعتمدت على الأسلحة والقوات العسكرية المتنوعة والعملاء والمتطوعين، خاصة من الوثنيين، وتمكنت من تطبيق سياسة فرق تسد وأضعفت الحاج عمر بفضل سياسة الحاكم العسكري فيدرب⁽⁸⁶⁾.

اتسمت حركة جهاد الحاج عمر بالحماس الديني، فأبطأت التوسع الفرنسي في أعالي السنغال، وكثرت خسائر فرنسا المادية والبشرية واضطرتها إلى تغيير القيادة مرات عديدة، وخسرت نفقات كبيرة، وبعد اشتداد الضغط على الحاج عمر أعلن جهاده ضد الوثنيين وضد الحكام المسلمين الذين رفضوا الخضوع له مثل حاكم ماسينا، الذي خاض معارك خارج وطنه فوتاتورو واعتبر البعض ذلك نوعًا من الاستعمار، فتوسعت دائرة الحرب بين المسلمين وتمت محاصرته حتى وفاته.

وعمومًا أثبت جهاد الحاج عمر وحلفائه ومنافسيه، بأن المسلمين السنغاليين لم يدركوا أبعاد مخاطر التوسع الاستعماري وانشغلوا بصراعاتهم الداخلية ومشكلاتهم وطرقهم الصوفية.

إن حركة الجهاد التي قادها الحاج عمر أدت إلى ظهور إنتاج فكري تجاني اهتم بنشر أدبيات الطريقة، بالإضافة إلى الثقافة العربية الإسلامية والشريعة انطلاقًا من كتاب الله وسنة رسوله. وقد ظهرت كتابات متنوعة ركزت على الدعوة الإسلامية والطريقة التجانية والوعظ والإرشاد وإنتاج فكري تبريري دفاعي مدحي وحتى ثقافي.

أدى الإنتاج الفكري التجاني السنغالي إلى توسع انتشار الإسلام واللغة العربية والطريقة التجانية في السنغال وغرب إفريقيا⁽⁸⁷⁾، كما أدى في نفس

الوقت إلى كثرة التبجيل والشكر والمدح حتى أصبحت الحركة الجهادية العمرية تظهر كأسطورة فريدة من نوعها في غرب إفريقيا. لكن الواقع والقرائن والنصوص الشرعية تبين أنه لم يكن جهادا إسلاميا مبنيا على القواعد الصحيحة للدعوة الإسلامية.

كما أن إقامة دار الإسلام تعتبر خرقا صارخا للنصوص الإسلامية التي تؤكد بأن لا جهاد في دار الإسلام، وحتى عمله في قبائل البامبارا الوثنية لا يمكن اعتباره جهادا لأنه لم يسبق بنشاط دعوي وعظي يبين مفهوم الدين الإسلامي، وكان الاكتفاء بتدمير علامات الكفر وهي الأصنام، بينما هي في واقع الأمر علامات للسلطة القائمة.

كما تجدر الإشارة إلى الأدبيات التجانية التي أحاطت الحاج عمر بمجموعة من الخوارق التي أدت إلى تعظيم شأنه وتأهيله للولاية وتزعم حركة الجهاد في المنطقة⁽⁸⁸⁾.

أعلن الحاج عمر الجهاد حتى على المسلمين بماسينا، وأدى ذلك إلى تحالف سلطان ماسينا مع الوثنيين ومع زعماء الطريقة القادرية، وكان ذلك الصراع والاختلاف وحتى الحرب عاملا مهما لظهور إنتاج ثقافي إسلامي مميز أصبح قاعدة أساسية تعتمد عليها الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا.

الهوامش:

1 - الحاج عمر بن سعيد تال، ولد حوالي سنة 1797 م بقرية هلوار بفوتاتورو وبدور على الحدود السنغالية الموريتانية شرق سان لويس. نشأ في بيئة علمية ووسط ديني وحفظ القرآن الكريم وصحيح مسلم وصحيح البخاري على يد أبيه سعيد بن عثمان وهو لا يتجاوز الثانية عشر من عمره. اتجه الحاج عمر إلى فوتا جالون حيث لقي الشيخ عبد الكريم بن أحمد الناقل فلأزمه حقبة من الزمن، ولقنه الطريقة التجانية وأذن له في أورادها اللازمة، وبعد عودته من فوتة لقي شيخ شيخه سيدي مولود فال فلأزمه فترة من الوقت ثم سافر بعد ذلك إلى الحج ومصر وشرق التشاد. انتقل الحاج عمر من مرحلة التصوف إلى مرحلة جهاد الوثنيين سنة 1852 م لتأسيس الإمبراطورية التجانية التي امتد نفوذها من نهر السنغال غربا إلى تمبكتو شرقا ومن بلاد الساحل إلى غينيا جنوبا. انظر:

- Amar Samb, «la vie d'El Hadj Omar, par Cheikh Moussa Kamara», bulletin I.F.A.N., T32, n°23 année 1970 Dakar, Sénégal, p. 75.

2 - أحمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المملكة المغربية 2000، ج3، ص، ص. 7، 12.

3 - قاسم جاخاتي، «مقومات الوحدة والتضامن في الطرق الصوفية، تجربة الطريقة القادرية والتجانية في غرب إفريقيا نموذجا»، مجلة المغرب الإفريقي، عدد 07، سنة 2006، جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، ص. 18.

4 - الأزمي، المرجع السابق، ص. 12.

5 - نفسه، ص. 9.

6 - Madina, Ly Tall (H), «Le Jihad Omarien dans le Royaume du Ségou (1859-1861)», in B.I.F.A.N. série B, T35, n°3 1983, Sénégal, p. 80.

7 - نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1975، ط2، ص. 120.

8 - نفسه، ص. 121.

- 9 - الحاج عمر بن سعيد الفتوي الطوري تال، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم، على هامش جواهر المعاني (لعلي حرازم برادة)، دار الجيل 1988، بيروت، لبنان.
- 10 - نفسه، ج1، ص، ص. 18، 109.
- 11 - نفسه، ص-ص. 112-221.
- 12 - الحسن يرلي، «جهاد الحاج عمر الفتوي، تال، نظريا وتطبيقيا»، ندوة ذكرى مرور مائتي سنة على ميلاد الشيخ عمر الفتوي تال (1797 - 1998)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2001، ج1، المغرب، ص-ص. 115-118.
- 13 - Moustapha Ndiaye, «Histoire du Bondou par Cheikh Moussa Kamara», in bulletin I.F.A.N. série B, V37, n°4, p-p. 784787-.
- 14 - Ly Tall, op.cit, p. 161.
- 15 - Ibid, p. 162176-.
- 16 - الأزمي، ج3...، مرجع سابق، ص-ص. 79-85.
- 17 - Léon, Faidherbe, Notices sur la colonies du Sénégal, édit. Artus Batrand, 1er édit, Paris 1859, p. 159.
- 18 - جاخاتي، مرجع سابق، ص. 18.
- 19 - يرلي، مرجع سابق، ص. 117.
- 20 - Saint Martin, L'empire toucouleur et la France un demi siècle de relations diplomatiques (18461893-), Dakar 1967, p. 81.
- 21 - Ibid, p. 82.
- 22 - الأزمي، ج3...، مرجع سابق، ص. 98.
- 23 - Samb, op.cit, p. 75
- 24 - Ibid, p. 76.
- 25 - David Robinson, La guerre sainte d'Alhadj Umar, éditions Karthala, 1988, Paris, p. 52.
- 26 - Saint Martin, L'empire ..., op.cit, p. 107.
- 27 - الأزمي، ج3...، مرجع سابق، ص. 100.
- 28 - نفسه ص 235
- 29 - Robinson, op.cit, p-p. 166 - 188.

30 - ولد ليون فيدر ب (Léon Faidherbe) بمدينة ليل الفرنسية في 03 جوان سنة 1818 م، درس بالمعهد الإمبراطوري وأصبح ملازما في سنة 1842 م، أدى خدمته العسكرية في الجزائر (1847 - 1843 م)، تخصص في الأشغال العمومية، وكثف نشاطه في الجزائر (1849 - 1852 م)، أنجز حصن بوسعادة وشارك في مواجهة مقاومة منطقة القبائل، وأشرف على إنجاز الطريق الرابط بين بجاية والجزائر.

وفي سنة 1852 م أصبح مديرا للأشغال العمومية بالسنغال، ثم حاكما عاما (1861 - 1854 م) كمرحلة أولى، ثم حاكما عاما للمرة الثانية (جويلية 1863 - ديسمبر 1865) وعاد بعد ذلك إلى الجزائر ثم فرنسا، أصيب بداء المفاصل والشلل وتوفي بباريس في 29 سبتمبر 1889. انظر:

محمد بن شوش، «فيدر ب ونشاطه الاستعماري (1842 - 1870 م)»، مجلة حولية المؤرخ، العدد 9-10، السداسي الثاني 2010، اتحاد المؤرخين الجزائريين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2010، ص-ص. 380-400.

31 - Ministère de la Guerre, Exposition coloniale international de Paris, Histoire militaire de l'Afrique occidentale Française, éditions, imprimerie nationale de Paris, 1931, p, p. 63, 64.

32 - Marcel, Olivier, Le Sénégal, 1er édit. Libraire Emille Larose, Paris 1909, p. 21.

33 - أبو بكر خالديا، من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية، الحاج عمر الفتوتي، حياته، جهاده، نواشوط، موريتانيا، 1980، ص. 87.

34 - نفسه، ص-ص. 87-90.

35 - عبد النبي السفيوي، «الاستعمار الفرنسي في السنغال»، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1996، ص. 155.

36 - Triand, Jean Louis et Robinson, David, La Tijâniyya, une confrérie musulmane à la conquête de l'Afrique, 2ème édit. Edition Karthalla, Paris 2000, p. 337.

37 - Ibid, p. 28.

38 - الأزمي، ج3...، مرجع سابق، ص. 114.

39 - Général Duboc, L'épopée coloniale Française, éditions, Edgar Mal Fère, Paris 1943, p. 31.

40 - Iba Der Thiam, «El Hadj Omar Foutiyou Tall et la colonisation, ou le Martyr d'un résistant Africain», in revue Al-Maghrib Al Ifriqui, n°4, année 2003, institut des études Africaines, Rabat, Maroc, p. 20.

41 - Ibidem.

42 - Ibid, p. 24.

43 - الأزمي، ج3...، مرجع سابق، ص. 114 .

44 - Iba Der, op. cit, p. 28.

45 - Ibid, p. 23.

46 - Ibid, p. 26.

47- Duboc, op.cit, p, p. 31, 32.

48 - Iba Der, op. cit, p. 20.

49 - حدد سعر قطعة الأرض بـ 5.000 فرنك بالإضافة إلى هدية سنوية بـ 1200 فرنك، وخصص 600 عامل بالحصن يعملون 09 ساعات في اليوم. انظر: M. G., Exposition coloniale, 1931..., op.cit, p. 88.

50 - بول هول (Paul Holl) مولاتر (من المولدين) سنغالي من أصل برتغالي قدم خدمات كبيرة للفرنسيين من 1823 م إلى وفاته سنة 1862 م، إذ عين قائدا عسكريا لباكل (Bakel) سنة 1845 م، ثم قائدا وحاكما لسينوديبو (Sénudibou) سنة 1845 م ومن 1852 م إلى 1855 م وحاكما لمدين (Médine) من 1855 م إلى 1857 م. انظر: Robinson, La guerre..., op.cit, p. 16.

51 - M. G., Exposition coloniale, 1931..., op.cit, p. 88.

52 - النشاط المميز هو الترغيب والمكافأة والترهيب والقتل والحرق، وهي سياسة طبقت بعد تراجع فيدربر إلى سان لويس وترك نوع من الهيبة والخوف من الاحتلال. انظر: Iba Der, op.cit, p. 26.

53 - قدمت الميدالية الذهبية لمحترف الاغتيالات ضد التجانيين في 09 أكتوبر 1855 م. انظر: Iba Der, Ibidem.

54 - قتل أحد أتباع عمر وأحرقت جثته في 10 أكتوبر 1855 م، بحجة قرابته مع تيرنو مصطفى (Thierno Moustapha) حاكم هلوار (Halouar) مسقط رأس الحاج عمر، كما قتل أحد الزعماء التيجانيين وهو أمادي عبد اللاي علي وأحرقت جثته في 14 أكتوبر 1855 م لأنه عارض الوثنيين حلفاء الفرنسيين. انظر: Iba Der, Ibid, p.22.

55 - Duboc, op.cit, p. 33.

56 - Iba Der, op. cit, p. 21.

57 - M. G., Exposition coloniale..., op.cit, p. 301.

58 - Iba Der, op. cit, p. 27.

59 - Duboc, op. cit, p. 89.

60 - الأزمي، ج3، مرجع سابق، ص. 118 .

61 - M. G., Exposition coloniale..., op.cit, p. 99.

62 - P. Cultru, Histoire du Sénégal du XV siècle à 1870, édition, Emile larose, 1er édit. Paris 1910, p-p. 277 - 327 .

63 - اليونسكو، تاريخ إفريقيا العام، المجلد السادس، القرن التاسع عشر في إفريقيا، مطبعة حسين درغام، لبنان 1996، ص. 704 .

64 - Cultru, op. cit, p. 327.

65 - Duboc, op.cit, p. 35.

66 - الأزمي، ج3، المرجع السابق، ص. 122 .

67 - Iba Der, op.cit, p. 25.

68 - الأزمي، المرجع السابق، ص. 122 .

69 - Duboc, op.cit, p. 41.

70 - اليونسكو، مرجع سابق، ص. 703 .

71 - Duboc, op.cit, p. 41.

72 - Ibid, p. 43.

73 - الأزمي، مرجع سابق، ص، ص. 124، 125 .

74 - M. G., Exposition coloniale..., op.cit, p95

75 - Duboc, op.cit, p-p. 43, 44.

76 - تعتبر هذه المرحلة حلقة جديدة من جهاد الحاج عمر خارج السنغال، وكان ذلك ضد سيغو (Ségou) وكارطا (Karta) الوثنيين، وماسينا وتمبكتو المسلمتين، فتشتت الجهود وضعفت حركة الجهاد ضد الوجود الفرنسي في السنغال.

77 - M. G., Exposition coloniale..., op. cit, p-p. 98 - 140.

78 - كان مشروع المعاهدة في 18 أوت 1860 م، واشتمل على حوالي سبعة بنود، وتم التوقيع على هذا المشروع بين حاكم باكل كورنو (Cornu) وخليفة الحاج تيرنو موسى في 10 سبتمبر 1860 م.

79 - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا، عالم المعرفة 139، يوليو 1989، الكويت، ص. 70 .

- 80 - خالديا، مرجع سابق، ص. 95.
- 81 - يرلي، مرجع سابق، ص. 117.
- 82 - الشيخ موسى كامارا، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، تحقيق وتقديم وتعليق خديم امباكي وأحمد الشكري، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2001، المغرب، ص، ص. 56، 57.
- 83 - تصادمت القوتان الإسلاميتان وحاول كل طرف تقديم حججه باستشهاده الخاص واستنادا إلى الشريعة الإسلامية حسب زعم كل طرف. أمير ماسينا صرح بأن سيغو تحت بيعته فلا يجوز للحاج عمر أن يشن حربا ضدها ورد الحاج عمر على ذلك ودخل حمدا لله عاصمة ماسينا منتصرا بعد موت أميرها أحمد بن أحمد. للمزيد انظر: كامارا، نفسه، ص، ص. 66-71.
- 84 - جاخاتي، المرجع السابق، ص. 22.
- 85 - الشريف ولد أحمد محمود، «التجانية رابطة رحم وجسر تواصل بين شعوب منطقة نهري السنغال والنيجر» في ندوة الإسلام والمقاومات والدولة في إفريقيا الغربية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ط 1، الرباط، المغرب 2003، ص، ص. 30، 31.
- 86 - تعامل الحاكم العسكري فيدرب مع الحاج عمر في العديد من المجالات وفق ما اكتسبه من تجربة في الجزائر ومقاومة الأمير عبد القادر، فكانت أحيانا بعض المعاهدات صورة تقريبا طبق الأصل مع معاهدات الأمير عبد القادر مثل معاهدة 1860، (1866) مع التكرور ومعاهدة تافنة ودي ميشال مع الأمير عبد القادر، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قوة المقاومة الجزائرية التي اتخذها الاستعمار مدرسة ينهل منها ليتوسع من خلال نتائجها في السنغال وفي غرب إفريقيا، ومن المؤسف حقا أن العديد من الكتابات العربية لا تشير إلى الأمير عبد القادر عند مقاومة الحاج عمر، لكن الحاكم الفرنسي ذكر ذلك عشرات المرات في تقاريره ومراسلاته. انظر: بن شوش، فيدرب...، مرجع سابق، ص. 388.
- 87 - الأزمي، الجزء الثالث...، مرجع سابق، ص-ص. 187-346.
- 88 - خالد شكراوي، «منطق الخطاب السياسي الجهادي عند الحاج عمر»، مجلة المغرب الإفريقي، عدد 06، السنة 2005، جامعة محمد الخامس، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المملكة المغربية، ص، ص. 90، 91.